الفرق بين التحضر والتخلف.. شجرة

هل كان الناس في سالف العصر والأوان أكثر سعادة؟ لنسمع بالجواب: نعم. كانت عيونهم ... الناس اليوم والموسيقى.. فلم يعد عندهم حتى الوقت لرؤية الجمال، حتى تساوى القبح مع الجمال، والقذارة مع النظافة، والإهمال مع العناية، وأصبح كل شبر من الأرض لا يتميز لـ...

تعرفه على سواء.

في العالم القديم كان الناس يهتمون بالشجرة ربما أكثر من اهتمامهم بأنفسهم. وكان التحضر يعني بها الاعتناء. وارتبطت العناية بالحدائق والخضرة حتى كان لها فن خاص بها. وكانه يبدي في الحدائق. وما أبعد الفارق بين مصر اليوم ومصر الفرعونية ومصر الإسلامية. فمصر الفرعونية عرفت أول تصميم مفصل للحدائق وجاء ذلك عام ١٤٠٠ ق.م في مدينة طيبة في عهد [illegible] هناك حديقة وجدت في ٢٨٠٠ ق.م.

ومن الحضارات القديمة الأخرى: الآشورية والبابلية والفارسية عرفت الحدائق، حتى أن حدائق بابل المعلقة تعد واحدة من عجائب الدنيا السبع. ولا يقتصر الأمر على هذه الحضارات بل إن الحضارة الإغريقية عرفت الحدائق التي ازدهرت في العصر الهيليني وازدهرت فيها حدائق الشرق. وعرفت مدينة الإسكندرية هذا النوع من الحدائق ساعد على ذلك توفره وقربه من البحر.

وفي روما بعد ازدهار الحضارة الرومانية عرفت حدائق [illegible] التي كانت أشبه من الحدائق الإغريقية. واشتملت على ١٢٠ هكتارا وسط مدينة روما. وحديقة شاسعة كبيرة جدا في منتصفها. وتطور هذا الفن في بريطانيا حيث أضيفت إلى الحدائق ذات المقاطع [illegible] الأشجار من الذهب والفضة وزينة بطرق شاسعة. كانت لا [illegible] الرياح [illegible] جميلا يعني سكانه.

وقد عرفت مصر الإسلامية بعد الحدائق كما عرفت البلاد الإسلامية روائع الحدائق التي قامت على الأنماط الفرعونية والفارسية والعربية خصوصا في بلاد الأندلس. وكانت تعتمد على الماء بشكل خاص في حوافه. ليس فقط من أجل ري الأرض إنما لأن الماء حين يتساقط فإنه يضفي على المكان أجواء رطبة ويوجد متعة في الصيف. بالإضافة إلى الموسيقى الناعمة التي تسربت بإيقاعات جميلة مع تساقط المياه. ولذلك انتشر في العصور الإسلامية استخدام النافورات والبرك المائية في حدائق القصور.

ويقال إنه في مدينة قرطبة فقط كان يوجد في وقت من الأوقات حوالي ٥٠ ألف فيلا كلها كانت محاطة بحدائق واسعة من هذا النوع.

ولا ننسى الحدائق الصينية واليابانية التي كانت تعتمد في جوانبها ليس على الخضرة فقط إنما على الزهور الرائعة. تماما في ذلك شأن الحدائق الإسلامية. وقد انتقلت أنماط الحدائق اليابانية والصينية إلى الغرب عن طريق الرحالة ماركو بولو.

وقد عني بعض الكتاب القدماء بهذه الحدائق ووصفوها. فعرفت الكاتب الروماني جايوس بلينيوس الأصغر الذي كان يقضي وقته في كتابة الرسائل، وتحدث في رسالة عن أعظم تصميم للحدائق في عصره. وهو جايوس ماريتوس. وكان صديقا للفيلسوف شيشرون. وقد أبدى هذا الأخير أيضا عن كيفية قص النباتات والأشجار، حيث يأخذ النبات والشجر شكل البناء الذي يريد له، ويكون ذلك استعدادا له، ويعطي مساحة نظرية واسعة جميلة تتحد بالطبيعة الخالدة.

وإذا كانت القرون الوسطى شغلت الناس بمسائل الحروب والنظريات الفلسفية والدينية الأخرى، فإن عصر النهضة عرف ما يسمى بنهضة المدينة، وعاد الشعور بالطبيعة الحية للحدائق فقط، لا للاستفادة منها. واشتهرت مدينة فلورنسا بإيطاليا، حيث ظهر فيها أعظم مهندس حدائق في ذلك العصر، هو الإيطالي ليون باتيستا ألبرتي. حيث صمم لأسرة ميديتشي في إيطاليا حديقة الفيلا التابعة لها والمشهورة حتى اليوم باسم كاريجي. وكتب ألبرتي أول كتاب في عصره عن فن الحدائق [illegible] مشهورين من النباتات والأشجار الخضراء والتي كانت من الفنانين الإيطاليين في تصميم حدائق الممرات والكرات والفرسان والسلالم. ومن هؤلاء الفنانين ميكيل أنجلو ورافائيل وبرامانت.

وانتقلت فرنسا من إيطاليا [illegible] ما تحتويه هذا الفن وتطوره. وظهرت المدرسة

الرائعة لحديقة قصر فرساي ، الذي كان تملكه
يلقب بالملك الشمس . لويس الرابع عشر
فقد هذا القصر حديقته الرشيدة فيه خلال
فقد كان هناك في عصر لويس الرابع
عشر . من ثلاث حدائق في القصر ، وهو رقم
يليه . فوكيه ، الذي أقام حديقة على مساحة
ثلاث قرى أزالها واستخدم فيها ١٨٠٠ ألف
رجل كانوا يعملون معا في وقت واحد . وفي
افتتاح حديقته الرائعة عام ١٦٦١ ، حيث قدم
موليير مسرحية فدوا اساسية . لكن . فوكيه

لم يتمتع بهذه الحديقة . لأنه أراد أن يكون
هو محل الافتتاح الأوحد
ولم يتمكن الملك على هذا التحدي فهل
وفعلا ما كان منه إلا أن اعتقل الوزير ، وحكم
عليه بالموت بتهمة خيانة العظمى ، وأمر ان تبنى
حديقة فرساي الشهيرة في نفس العام
واستخدم لها مهندس حديقة فوكيه نفسه ،
كما أمر أن ينقل أحسن ١٩٠ شجرة في حديقة
الوزير الى فرساي ، واستمر العمل أربعين
عاما . وظل القصر والحديقة بعد ذلك حتى
سلالة والملوك والموت في أسباب والدية
الموت . حتى حديقة تدرك دورة

الشهيرة حيث لم تنبت شجرة العربية في
الأسبانية من قصر فرساي الفرنسي . مع
بعض إضافات هولندية . وكان كل شكل من
أشكال الحديقة يرمز الى معنى رمزي لمالك القصر
يتمتع على الشكل خط النباتات التي
لا تتجاوز طولها ١٠ سم الى ١٥ سم . حتى لا ترتفع
ولو قليلا . لأن الفن يخرج عن شيء يسيء الى
الأصل . وكل النباتات يجب ألا ترتفع كثيرا حتى
تظل في ارتفاع ثابت الحديقة . كما تنحني
لتلك الخارج من المواد . رغبت ان تكون
خضراء على مدار العام لا تتغير ألوانها مع
الفصول . حتى لا تختفي الكآبة والقتامة بعد كل
يوجد الزمن له
ويظهر بعدها خاط روسو وهذا هو الذي
نادى بعودة الطبيعة إلى البداية وبحرب ابتعادها
عن التناسب المطلق . وهنا انطلقت دعوته
الى الطبيعة المتوحشة . وأصبحت الحدائق التي
صممت على هذا الشكل بالحدائق الإنجليزية
تمييزا لها عن الحدائق الفرنسية
والحديث يطول ويطول
ولكننا نحن الآن لا نريد حدائق يابانية
ولا انجليزية ولا فرنسية ولا اجتماعية . نحن نتبع
بالطبيعة البدائية المتوحشة . ولكن المسألة
لا تتعلق بأي عصر . ولا أي مهندس حدائق ،
ولا أي فيلسوف . لكن الأسئلة ، من منطلق
حياة ، من منطلق الصحة . نريد حدائق لم
تنبت شيطانية . فالتراب يسد علينا كل

منافسنا . ويسد علينا كل منفذ للهواء
الحصول بورق أخضر . فأجدادنا كانوا أعظم
منا في هذا المجال
وليزرع كل منا شجرة أمام بيته . فربما نصبح
خضرة في الشوارع . ربما لا نصبح أمة لم
متحضرين لأن الفرق بين التحضر والتخلف
شجرة!